الثبوت العلمي زائد الشبهة في هذا الباب وقولنا انما قولنا اذا اردناه ان نقول له
كن فيكون وذلك الشيء هو معلوم له قبل ايجاده وقبل توجيه هذا الخطاب اليه وبذلك
كان مقدورا مقضيا فان الله سبحانه وتعالى يقول ويكتب ما يعلمه ماشيا كما قال النبي صلى الله
عليه وسلم في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله قدر مقادير الخلائق قبل ان يخلق السماوات والارض بخمسين الف سنة وفي صحيح
البخاري عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان الله ولم يكن شيء غيره
وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والارض وفي سنن ابي داود
وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اول ما خلق الله القلم فقال له اكتب قال اي رب ماذا اكتب قال
اكتب مقادير كل شيء حتى قيام الساعة فهذه النصوص التي تبين ان الخلق قد قبل
ان يخلق كان معلوما مخبرا عنه مكتوبا فهو شيء باعتبار وجوده العلمي الكلامي الكتابي
وان كانت حقيقته التي هي وجوده العيني ليست ثابتة في الخارج بل هو عدم محض وتقدير صرف
وهذه المراتب الاربعة المشهورة موجودة وقد ذكرها الله سبحانه في اول سورة انزلت
على نبيه في قوله اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق الى قوله علم الانسان
ما لم يعلم وقد بسطنا الكلام في هذا الموضع واذا كان كذلك كان الخطاب
موجها الى من توجهت اليه الارادة وتعلقت به القدرة وخلق وكون كما قال انما قولنا
لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فالذي يقال له كن هو مراد وهو حين يراد
قبل ان يخلق له ثبوت وتميز في العلم والتقدير ولولا ذلك لما تميز المراد المخلوق
من غيره وبهذا يحصل الجواب عن التقسيم فان قول السائل ان كان المخاطب موجودا
فتحصيل الحاصل محال يقال له هذا اذا كان موجودا في الخارج وجوده الذي
هو وجوده ولا ريب ان المعدوم ليس موجودا ولا هو في نفسه شيء ولا ثابت واقعا
علم واريد وكان شيء في العلم والارادة والتقدير فليس وجوده في الخارج محالا
بل جميع المخلوقات لا توجد الا بعد وجودها في العلم والارادة وقول السائل
ان كان معدوما فكيف يتصور خطاب المعدوم ويقال له اما اذا قصد ان يخاطب
المعدوم في الحال بخطاب يفهمه ويمتثله فهذا محال اذ من شرط المخاطب
ان يتمكن من الفهم والفعل والمعدوم لا يتصور ان يفهم ويفعل فيمتنع
خطاب التكليف لحال عدمه بمعنى انه يطلب منه حين عدمه ان يفهم ويفعل

وكذلك ايضا يمتنع ان يخاطب المعدوم في الخارج خطاب تكوين بمعنى ان يعتقد
انه شيء ثابت في الخارج وانه يخاطب بان يكون واما الشيء المعلوم المذكور المكتوب اذا كان
توجيه خطاب التكوين اليه مثل توجيه الارادة اليه فليس ذلك محالا بل هو ممكن بل مثل
ذلك يجده الانسان في نفسه فيقدر اولا في نفسه يريد ان يفعل ويوجد الارادة وطلبه الى ذلك
المراد المطلوب الذي قدره في نفسه ويكون حصول المراد المطلوب بحسب قدرته فان
كان قادرا على حصوله حصل مع الارادة والطلب الجازم والا كان عاجزا لم يحصل وقد
يقول الانسان لنفسه كذا ونحو ذلك في صيغ الطلب فيكون المطلوب بحسب قدرته عليه
والله سبحانه على كل شيء قدير وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فانما امره اذا اراد شيئا
ان يقول له كن فيكون **فصل** واما الحجة الثانية فقول السائل قد قال تعالى
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وان كانت هذه اللام للصيرورة في عاقبة الامر
فما صار كذلك وان كانت اللام للغرض لزم الا يتخلف احد من المخلوقين عن عبادته وليس
الامر كذلك فما التخلص عن هذا المضيق فيقال هذه اللام ليست هي اللام التي يسميها
بعض النحاة لام العاقبة والصيرورة ولم يقل ذلك احد هنا احد كما ذكره السائل عن ان
ذلك لم يقل الا عامة قول في نفسه يعبدون بمعنى يعرفون يعني المعرفة التي اقر بها المؤمن والكافر
لكن هذا قول ضعيف وانما زعم بعض الناس ذلك في قوله ولذلك خلقهم التي في آخر
سورة هود فان بعض المفسرين زعم ان تلك اللام لام العاقبة والصيرورة اي صار
عاقبتهم الى الرحمة والحال اختلاف وان لم يقصد ذلك الخالق وجعلوا ذلك نظير قوله تعالى
فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقول الشاعر لدوا للموت وابنوا للخراب
وهذا ايضا ضعيف هنا لان لام العاقبة انما تجيء في حق من لا يكون عالما بعواقب
الامور ومصايرها فيفعل الفعل الذي له عاقبة لا يعلمها كما قال فرعون واما من يكون
عالما بعواقب الافعال ومصايرها فلا يتصور منه ان يفعل فعلا لعاقبة لا يعلم
عاقبته واذا علم ان فعلا له عاقبة فلا يقصد بفعله ما يعلم انه لا يكون فان ذلك
تمن وليس بارادة واما اللام هي اللام المعروفة وهي لام كي ولام التعليل التي
اذا خلفت انتصب الفعل المجرور بها على المفعول له وتسمى لام الغاية
وهي متقدمة في العلم والارادة متأخرة في الوجود والحصول وهذه الغاية هي
المراد المطلوب المقصود في الفعل لكن ينبغي ان يعرف ان الارادة في كتاب الله